

تفسير سورة الملك عند الإمام النورسي
(دراسة موضوعية)

إعداد

م . م . طارق خليفة درج

قسم التفسير وعلوم القران – كلية العلوم الإسلامية /الرمادي – جامعة الأنبار

الخبير اللغوي

أ.م.د .عادل هادي حمادي

مستخلص البحث

تحدث الإمام النورسي عن معنى الموت والحياة ، فرأى الموت تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود ودعوة إلى الحياة الباقية الخالدة، ومقدمة لها، وأما الحياة تحصل من امتزاج صفات كثيرة، كما أنها تتضمن الرزق والرحمة والعناية والحكمة. وميز أيضاً بين الأموات فهو ينظر إلى الشهداء بأن لهم طبقة حياة أعلى وأسمى من حياة الأموات في القبور، وأظهر للموت نعماً يتنعم بها من مات على الحق والصراط المستقيم.

وبين مدى التحدي للمخلوقات في أن يجدوا ثغرة في خلق الله كما في خلق السماوات، ويرى تكرار هذا التحدي لا يولد نقصاً في القرآن الكريم، بل هو يثير الاهتمام والجد في النظر إلى خلق الله كله، وإلى جمال ما يصنع ويخلق، حينما أوجد هذه النجوم المضيئة في السماء، بل أنها وسيلة لطرد المتمردين من أشرار الجن، وبين أسباب هذا الطرد بعدة نقاط، أوضح فيها إن عالم السماء وما فيه من الملائكة لا يستحق مثل هؤلاء أن يعيشوا فيها ولما فيها أيضاً من نعم كنعمة الأمطار ،والسحاب، والرياح،والرعد والبرق. وبيان حال الكفار والعصاة وهم في نار جهنم، فلهذا كرر الإنذار لهؤلاء بآيات كثيرة. بل أنه أوجد هذه المخلوقات في أصلها النعمة والفائدة للعباد. ولكن بعد التجبر والعصيان تتحول إلى نقمة وعذاب. كما أرسل الرياح إلى قوم عاد والطوفان إلى قوم نوح وخسف الأرض بقارون وإغراق فرعون وجنوده في اليم.

وأوضح أثر الاسم العليم واللطيف على الخلق، فالعليم هو العالم بالسرائر والخفايا التي يدركها علم الخلائق، على سعتها وتنوعها التي إذا أنسبت إلى علم الله اضمحلت وتلاشت، واللطيف هو عندما يخلق الله الخلق ويصور الأشياء بصورة عامة ، يضع بد ذلك جزيئات ذلك المخلوق، فعندما كانت الصورة إنساناً أضفى على أعضائه ألواناً من الحسن والجمال، فعندما يولد المولود إلى الدنيا يرسل رزقه عقبه مباشرة في منتهى اللطف. ووصف الأرض أنها سفينة آمنة سالمة تبحر في بحر الكون الواسع بانتظام دقيق دائرة حول الشمس لأجل حكم كثيرة ومنافع شتى.وعندما يذكر القرآن الأشياء الكونية يذكرها للاستدلال على صفات الخالق ووجوده .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين.

ABSTRACT

In the name of God the Merciful
Praise be to Allah and peace and blessings of God sent the Koran mercy to the worlds, our Lord and Maulana Muhammad and his family and his companions all.
As yet, the Holy Book of the seal of God in the Books, revealed to the Prophet and the seal of God by the prophets, the Apostle's argument is his greatest: the minimum in the mouth of a witness to his letter, speaking Npute proof of the sincerity and honesty. Top, a haven of religion: Islam is based on him in faith and worship, wisdom and provisions of etiquette and morals, and his stories and sermons, and the sciences and knowledge. He transferred power that changed the picture of the world, and turned the course of history, and saved humanity mishaps, as if he created a new creation to exist. So was all the Holy Quran into care of the Great Prophet peace be upon him and his companions may Allah be pleased with them, and advances the nation and left us all. Until he found the only Muslims who carry the torch amid these systems and principles behooves them to lead humanity confused Qur'an even take her hand to a beach of peace. As was the Koran by the State in the past, it also will not have any except in the present. The reason for this course, the subject of this Manhal. Copy of the fence this great book. Namely, Al-Mulk Surah concerned because these assets doctrine, which prove the existence of God, and His greatness, and its ability to everything, and the retrieval of Haddanith, and show the greatness and uniqueness, the king and the sultan, and the domination of the universe and attitude in the presence of neighborhoods and fatality. And confirmed the reasoning of the existence of God by creating the seven heavens, and garnish with the planets and bright stars, and harnessed for the stoning of the devils, and other manifestations of his ability and knowledge. Which indicates that the structure of the world system in which an arbitrator is not a bug or heterogeneity. And also show its meaning: the preparation of the torment of Hell for the unbelievers, and believers preach forgiveness and great reward and the collection of sticks and carrots on the way the Holy Quran. Knowledge and evidence in secret and in public, and creates rights and livelihood, and to overcome the earth to live, archiving,
And challenge the people that supports them is that God wanted anguish.

That God created when the creation of mankind and the jinn and mankind on the other was not in vain. But found to exist for a reason and evidence of the existence of God. Between God and the wisdom behind the creation of mankind and the jinn when he said: (I created the jinn and mankind except to worship Me) (Thareyat: 56) Thus, in the creation of life and death. It is wise to know the facts of the subjects of good and

evil, through the work. Considered Imam Alnursi Allah's mercy that life is a miracle of divine power, which is proof of the proof monotheism and impressed by, and that life and living alone showed Gayoom the reward attributes of great and wise affairs. Life Kalnor .. Just as the sunlight gets from mixing of colors, as well as the (life) you get from mixing of many recipes. It also includes a living, compassion, care and wisdom, which is in force in their respective objects and corrects them and will create and manage.

He says that the universe an accident, where we see in every age and every year, but in every season and degrades the world go another place, move objects, and come again. Valkadir is glorious is that there is this world from scratch each year, but in every season, but every day, all the assets of the universe along these lines, each of which declares itself, qualities, on the tongue of its manufacturer, and attests to the wisdom of his conduct in the way of specific methods within the unlimited potential. Thus, experiencing everything the manufacturer wise and free will and choice, because you put something very prudently in all vehicles, and maintains that the relations among them can not be the only creator of all creatures.

Of the sky as well as a great blessing of grace (the clouds), which was suspended between heaven and earth irrigate land watering nursery explode wisdom and mercy, and to provide the motive inhabited water of life, by moderating the intense heat - the severity of Dharam live. While this huge heavy clouds takes over the functions of these many times, it disappears and goes out the window immediately after the filling over the air. Withdraws all of its parts to rest.

He said God's mercy: that kufr and misguidance is terrible beyond terrible, and the crime related to all assets. This is because they reject the lofty goal to create objects that resulted in great human bondage and direction of faith and obedience and of following the Lordship of God. Vinkarhm this result that the majority of which is the reason why the survival of finality and type of assets are the rights of all creatures.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله بالقرآن رحمة للعالمين ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين .

أما بعد ، فان القرآن كتاب ختم الله به الكتب ، وأنزله على نبي ختم الله به الأنبياء ، وهو حجة الرسول وآيته الكبرى : يقوم في فم الدنيا شاهدا برسالته ، ناطقا بنبوته ، دليلا على صدقه وأمانته . وهو ملاذ الدين الأعلى : يستند الإسلام إليه في عقيدته وعبادته وحكمته وأحكامه وآدابه وأخلاقه ، وقصصه ومواعظه ، وعلومه ومعارفه . وهو القوة المحولة التي غيرت صورة العالم ، وحولت مجرى التاريخ ، وأنقذت الإنسانية العاثرة ، فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا . لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم ، ومن سلف الأمة وخلفها جميعا . حتى وجد المسلمون وحدهم الذين يحملون المشعل وسط هذه النظم والمبادئ فحري بهم أن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم حتى يأخذوا بيدها إلى شاطئ السلام . وكما كانت لهم الدولة بالقرآن في الماضي فإنها كذلك لن تكون لهم إلا به في الحاضر . لهذا كان سبب اختياري هذا الموضوع من هذا المنهل. لسورة من سور هذا الكتاب العظيم . ألا وهي سورة الملك لأن هذه السورة تعنى بأصول العقيدة ، وهي إثبات وجود الله ، وعظمته ، وقدرته على كل شيء ، والاستدلال على وحدانيته ، وإظهار عظمته ، وتفرده بالملك والسلطان ، وهيمنته على الأكوان وتصرفه في الوجود بالإحياء والإماتة . ثم أكدت على الاستدلال على وجود الله عز وجل بخلقه السماوات السبع ، وما زينها به من الكواكب والنجوم المضيئة ، وتسخيرها لرجم الشياطين ، ونحو ذلك من مظاهر قدرته وعلمه . مما يدل على أن نظام العالم نظام محكم لا خلل فيه ولا تغاير . وأيضاً تظهر قدرته تعالى : إعداد عذاب جهنم للكافرين ، وتبشير المؤمنين بالمغفرة والأجر الكبير وذلك جمع بين الترهيب والترغيب على طريقة القرآن الكريم . وبينة علمه بالسر والعلن ، وخلقه الإنسان ورزقه ، وتذليل الأرض للعيش عليها وحفظها ،

وتحدي الناس أن ينصرهم غير الله إن أراد عذابهم . وأردفت في الخاتمة

إثبات البعث ، وحصر علمه بالله وإنذار المكذبين بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحذيرهم من إيقاع العذاب بهم وإعلان وجوب التوكل على الله . كذلك مما دفعني إلى الخوض ي هذه السورة العظيمة . ما ورد في فضلها من أحاديث عن الحبيب صلى الله عليه وسلم عندما قال : في فضلها (سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية ، خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة ، وهي سورة تبارك) (١) وعنها قال : (هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر) (٢)

وقع اختياري أن أطالع هذه السورة على يد عالم جليل زاهد ومتواضع . كالإمام بديع الزمان سعيد النورسي . حيث تناول تفسير بعض آيات هذه السورة . في كليات رسائل النور .التي حولت إلى عدة مراجع وكان اعتمادي عليها في البحث. وهذا الذي جعلني عدم الاعتماد على المصادر الأخرى من التفاسير . لأن الموضوع مختص في تفسير هذه السورة عند الإمام النورسي فقط. ، وهي رسائل معنوية للقرآن الكريم . وهي برهان لهذا الكتاب وتفسير قيم له . لأن رسائل النور تفسير لمعاني وألفاظ القرآن الحكيم التي تعالج القضايا الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع . لأنها تكون عنده تصورات إيمانية جديدة وتهدم التصورات الفاسدة والسلوك الضعيف . فإنها تدور حول معاني التوحيد وحقيقة الآخرة وصدق النبوة وعدالة الشريعة . مما دفعني إلى أن أجمع تفسير بعض آيات هذه السورة . من هذه الرسائل النورانية التي سميت كل رسالة باسم يوحي إلى ما فيها من وقفات . فوجدت لهذا الإمام منهجاً لتفسير هذه السورة وغيرها. منهجاً جديدا يوحي ربط عصارة الذهن بالعلم والقلب بالصلة وأظهر في تفسيره خلاصة عقيدته المستنبطة من وحي القرآن والسنة النبوية المطهرة . ولا بد من توضيح أمر لمن لم يطلع على هذه الرسائل بأن صاحبها رحمه الله . تناول تفسير بعض السور كاملة . وهذا وجدته قليلاً والغالب على باقي السور يتناول بعض آياتها وهذا كثير في الرسائل . بل وجدت أنه تناول تفسير بعض الآية . ومنها السورة التي بحثتُ فيها . فعملت على تقسيم بحثي حول تفسير هذه السورة إلى عدة مطالب :

فكان المدخل نبذة مختصرة عن حياة الإمام النورسي.

أما المطلب الأول :- تكلمت فيه عن خلق الموت والحياة لبيان حقيقة العباد.

والمطلب الثاني :- في بيان حقيقة اسم الله (الفرد) في الخلق وتحدي الخلائق.

أما المطلب الثالث :- فقد بينت فيه طرد المتمردين من الشياطين في السماء بتلك الزينة من الكواكب .

والمطلب الرابع :- فيه تصوير لحال الكفار في نار جهنم وما يرونه من هولها .

أما المطلب الخامس :- فيه بيان لأثر الاسم (العليم واللطيف) في الخلائق.

أما المطلب السادس :- فيه بيان لتسخير الأرض وتذللها للعباد.

ثم الخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع . ومن الله التوفيق

مدخل . نبذة مختصرة عن حياة الإمام النورسي

ولد الإمام النورسي سنة ١٢٩٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٧٣م في قرية (نورس) من قضاء (خيزان) التابع لولاية (بتليس) شرق الأناضول في تركيا .

وهو من أسرة كردية صالحة تقية تعمل بالفلاحة والزراعة . فكان أبوه رجلاً ورعاً عابداً . وأمه امرأة صالحة وهو من وسط عائلة عابدة عالمة . فكان أخوه الكبير الملا عبد الله . عالماً يقوم بمهمة التدريس لطلاب العلم .

وبدأ في وقت مبكر من طفولته بطلب العلم لما كان يستمتع به من ذكاء ونباهة فائقة فأخذ يتعلم في كتاتيب قرية (طاغ) على يد أستاذه (محمد أفندي) سنة ١٨٨٢م وعمره تسع سنوات وتلقى دروساً في علم النحو والصرف على يد أخيه الكبير (الملا عبد الله) ثم واصل الدراسة وطلب العلم في قرية (بيرمس) إلى أن بلغ من العمر خمس عشرة سنة . بدأ ينتقل في القرى والمدن بين العلماء والفقهاء

يتلقى على أيديهم علوم الشريعة الإسلامية وعلوم العربية . ثم ارتحل في سنة ١٨٨٨م إلى (بتليس) والتحق بمدرسة الشيخ (أمين أفندي) ثم إلى (مكس) حيث مدرسة (أمير حسن ولي) وهكذا استمرت رحلته الطويلة بين القرى والمدارس والشيوخ . إلى أن بلغ من العمر تسع عشرة سنة حين بدأ يلقي الدروس ويجيب عن أسئلة السائلين . وبعدها راجع كثيراً من كتب علم النحو والتفسير والحديث والفقه مما جعله يحفظ عن ظهر قلب أكثر من ثمانين كتاباً من أمّات هذه العلوم . وفي سنة ١٨٩٦م وقد بلغ النورسي سن الثالثة والعشرين من عمره شد الرحال إلى استانبول ليقدم مشروعاً لإنشاء جامعة إسلامية . باسم مدرسة الزهراء التي تقوم على نشر حقائق الإسلام .[٣] وبعد رحلة طويلة من طلب العلم والتعليم والجهاد والوقوف أمام الاستعمار والحكام الظالمين وخدمة طلبة العلم تم سجن الإمام النورسي سنة ١٩٥٠م وهذا أيضا بعد رحلة متنقلة من سجن إلى سجن . وبعد أن سمع بالحملة الوحشية التي نشبت على الإسلام . سمح الإمام لأول مرة لرسائل النور بالطبع والنشر . وبقى الإمام يوجه تلامذة النور حتى وفاته في الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٩هـ الموافق سنة ١٩٦٠م[٤]

أما منهجه في التفسير فوجدت أن المتتبع لرسائل النور يجد أنها رسائل غير مختصة لشرح مفاهيم الإسلام فقط ، إنما هي أيضا تفسير قيم للقرآن الكريم والذي يتصف بعدة خصائص معينة ومهمة قد لا نجدها مجتمعة في غيرها من التفاسير وبالأخص في عصرنا الحاضر، والذي جعل هذا التفسير بهذه الصفة والخصوصية. عدة أمور اعتمد عليها الإمام رحمه الله تعالى . كما اعتمد غيره من المفسرين الاخرين. ومن أهمها الاعتماد على القرآن الكريم الذي يرى بأنه يضم بين دفتيه حقائق جميع العلوم ، ومراعاته في التفسير بأن يخاطب الطبقات البشرية كافة ابتداء من العوام وانتهاء بالخواص وبأسلوب سهل ، وذلك من خلال نظرته بأن القرآن الكريم لم ينزل لطبقة دون أخرى ، واعتماده على السنة النبوية المطهرة واعتبر إتباع السنة هو أساس المفسر الذي يقوم بالتفسير ، نظر في تفسيره العصر الذي عاشه حيث أن الإمام رحمه الله وجد في عصره الشبهات والتيارات الضالة والهجمة

البغيضة على الإسلام ، كذلك كان يخاطب في تفسيره العقل والروح والوجدان ، ووجدت الإمام وضع شروطاً للمفسر منها أن يكون عالماً حقاً وصاحب فكر واسع واطلاع شامل ، وكان ينظر ألا يبقى المفسر تحت تأثير اهوائه الشخصية ،

ولا يختلط نهجه واجتهاداته الشخصية بتفسيره ، من اجل أن تبقى حقيقة المفسر صافية نقية ، وان يكون ثابتاً في خدمة دينه ، عظيم الصدق وعظيم الوفاء والتضحية ، كل هذا جعل هذا التفسير بهذا المقام .

المطلب الأول :– خلق الموت والحياة لبيان حقيقة العباد .

|Nöq y Jø 9 $ # t , n= y { “ Ï %© ! $ #))
öNä . uqè =ö7u‹Ï 9 no4qu‹ptø : $ # u r
(الملك: من الآية: ٢) ((4 Wx uKtã ß ` | ¡ômr & ö / ä3• ƒ r &

إن الله تعالى حينما خلق الخلق من الإنس والجن والخلائق الأخرى لم يكن عبثاً . إنما أوجد الوجود لحكمة ودليل على وجود الخالق . ولهذا بين الله الحكمة من خلق الإنس والجن عندما قال :– (($ tBu r à Mø) n= y z
£ ` Ågø : $ # }§RM} $ # u r žw Î)
9 Ï ‹u è ÷ 7 ç ‰% ß r b È)) (الذريات:٥٦) وهكذا في خلق الموت والحياة . لها من الحكمة ألا وهي معرفة حقائق العباد من خير وشر وذلك عن طريق العمل . ونظر الإمام النورسي رحمه الله إلى أن الحياة معجزة من معجزات القدرة الربانية ، وهي برهان من براهين الوحدانية وأبهرها ، وأن الحياة وحدها تبين الحي القيوم بأسمائه الحسنى وصفاته الجليلة وشؤونه الحكيمة . فالحياة كالنور .. فكما أن نور الشمس يحصل من امتزاج الألوان ، كذلك (الحياة) تحصل من امتزاج صفات كثيرة . كما أنها تتضمن الرزق والرحمة والعناية والحكمة ، التي كل منها سارية في الكائنات ومهيمنة على أمرها وخلقها وتدبيرها ، فكأن الحياة تقود أولئك جميعاً معها أينما حلق . إذ حالما تحل (الحياة) في أيما جسم ، إذ باسم (الحكيم) يتجلى فيه أيضاً حيث يشرع ببناء متقنٍ وينظمه تنظيماً حكيماً . (٥) وينظر الإمام إلى الموت

إلى أنه في حقيقته تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا ، وهو تبديل مكان وتحويل وجود ، وهو دعوة إلى الحياة الباقية الخالدة ومقدمة لها ، إذ كما أن مجيء الحياة إلى الدنيا هو بخلق وبتقدير إلهي كذلك ذهابها من الدنيا هو أيضاً بخلق وتقدير وحكمة وتدبير إلهي ، فان كان موت النبات . وهو في أدنى طبقات الحياة . مخلوقاً منتظماً بحكمة ، فكيف بالموت الذي يصيب الإنسان وهو في أرقى طبقات الحياة ؟ فلا شك أن موته هذا يثمر حياة دائمة في عالم البرزخ ، وهنا وقفة جليلة ينظرها الإمام في حياة الشهداء ، بأن لهم طبقة حياة أعلى وأسمى من حياة الأموات في القبور لأن الشهداء الذين ضحوا بحياتهم الدنيوية في سبيل الحق ،

ينعم عليهم سبحانه وتعالى بكمال كرمه حياة شبيهة بالحياة الدنيوية في عالم البرزخ ، إلا أنها بلا آلام ولا متاعب ولا هموم ، حيث لا يعلمون أنهم قد ماتوا ، بل يعلمون أنهم قد ارتحلوا إلى عالم أفضل .

لذا يستمتعون متعة تامة ويتنعمون بسعادة كاملة ، لا يشعرون بما في الموت من ألم الفراق من الأحبة ، كما هو لدى الأموات الآخرين الذين يعلمون أنهم قد ماتوا رغم أن أرواحهم باقية ورغم عظمة الموت إلا أن فيه نعمة عظيمة للذين سعوا في الحياة الدنيا . إلى مرضاة الله تعالى وفق العمل الصالح الذي يصل إليه الساعي عن طريق العلم والمعرفة والأخلاق . المستنبط من القرآن والسنة وكيف لا . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر) [٦] ولقد أشار الإمام إلى هذه النعم والتي:

أولها : الموت إنقاذ للإنسان المؤمن من أعباء وظائف الحياة الدنيا ومن تكاليف المعيشة المثقلة.

وثانيها: انه خروج من قضبان سجن الدنيا المظلم الضيق المضطرب ، ودخول في رعاية و كنف رحمته الواسعة ، وهو تَنَعُمٌ بحياة فسيحة خالدة مستنيرة لا يزعجها خوف، ولا يكدرها حزن ولا همّ.

وثالثها: إن الشيخوخة وأمثالها من الأسباب الداعية لجعل الحياة صعبة ومرهقة،

تبيّن مدى كون الموت نعمة تفوق نعمة الحياة. فلو أدركت بقاء الأجداد مع ما هم عليه من أحوال مؤلمة . بعدها لفهمت مدى كون الحياة نقمة ، والموت نعمة.

ورابعها: عرف النوم راحةً للإنسان ورحمة، ولا سيما للمبتلين والمرضى والجرحى، كذلك الموت - الذي هو اخو النوم - رحمة ونعمة لهؤلاء .

أما أهل الضلال والعصيان والبعيدين عن المنهج الرباني فالموت لهم كالحياة نقمة وعذاب وهذا ما أثبته القرآن الكريم عندما قال تعالى : ((ô ` tBu r ¼ã &s ! ¨b Î * sù “ Ì • ò2 ÏŒ ` tã uÚt • ôã r & ¼ç nã • à ±ø twUu r %Z 3Y | Ê Z pt ±Š Ï è tB ((4 ‘ y J ôã r & Ï p y J » u Š É) ø 9 $ # u Q ö q t ƒ

(طه:١٢٤) ومعنى الموت ليس إعداماً وعدماً صرفاً، بل تصرف، وتبديل موضع، وإطلاق للروح من المحبس .

وألقت إلى الأذهان قناعة بأن الإنسان بعد الموت يبقى بجهة، وان الباقي منه هو الروح. فوجود هذه الخاصة الذاتية في فرد يكون دليلا على وجودها في تمام النوع للذاتية .

ومن هنا تكون الموجبة الشخصية مستلزمة للموجبة الكلية ، فحينئذ يكون الموت معجزة القدرة كالحياة. لا انه عدمٌ علتُه عدمُ شرائط الحياة. (٨)

المطلب الثاني :– بيان حقيقة اسم الله (الفرد) في الخلق وتحدي الخلائق .

((ö@y d uŽ | Çt 7ø 9 $ # Æì Å _ö ‘ $ $ sù
? s• t “3 B Ï ` ù è Ü ä q ‘ 9)) (الملك: من الآية٣)

تظهر لنا هذه الآية عظمة الخالق لهذا الكون العجيب والمتمثل في خلق السماوات والأرض وما بينهما ، هنا تتجلى قدرة الله على صنع هذه السماوات وما فيها من النجوم والكواكب ، وفيها إشارة اخرى على التحدي للمخلوق أن يجد فيما يصنعه الله تعالى ، أن يكون فيه عيب أو نقص ، ولهذا أشار الإمام وهو ينظر في تفسير هذه الآية ، إلى بداعة النظام الذي لا ترى فيه ثغرة ولا لبساً ولا نقصاً في جهة من

الجهات ابتداءً من الذرات إلى المجرات.

فكل هذا يظهر لنا التجلي الأعظم لاسم (الفرد) ويشهد شهادة واضحة على الوحدانية.   ثم ان اي مخلوق مهما كان صغيراً ، إنما هو مثال مصغر للكون كله. فلا يكون مالكاً لذلك المخلوق الحي الصغير إلا مَن كان بيده زمام الكون كله وله الأمر جميعاً. وحيث ان كل بذرة متناهية في الصغر ليست بأقل إبداعاً في الخلق من شجرة ضخمة

إن الكون في ضوء هذا السر – سر الأحدية – ليس كلاً يستعصي على التجزئة وحدها بل أيضاً هو كلّي من حيث الماهية ، لا يقبل الانقسام والاشتراك والتجزئة وتدخل الأيدي المتعددة قط. فهذا التجلي الأعظم لأسم (الفرد) يثبت حقيقة التوحيد بهذا السر للأحدية، بدرجة البداهة.[٩] ويقول أيضاً المبصر لا يرى نقصاً، إلا إن كان أعمى البصر والبصيرة، أو مصاباً بقصر النظر!

لأن القرآن الكريم الذي يأمر بالتفكر في الكون ، يعدّد أيضاً الفوائد ويذكّر بالنعم الإلهية.. فتلك الآيات الجليلة مظاهر لهذا البرهان. [١٠]

u Ž | Ç t 7 ø 9 $ #   Æ ì Å _ ö ‘ $ #   §N è O))
y 7 ø ‹ s 9 Î)   ó = Î =s) Z t ƒ   È û ÷ üs ? § • x .
u q è d u r $ Y ¥ Å™%s {   ç Ž | Ç t 7 ø 9 $ #
× Ž • Å ¡ y m)) (الملك:٤)

يبين الله تعالى لصاحب البصر أن يعيد الكرة مرة أخرى . في خلق السماوات . وهذا أسلوب التحدي من شأنه أن يثير الاهتمام والجد في النظر إلى خلق الله كله . وهذا الذي يريده القرآن . من أجل التمعن في الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق ، الذي لا تشبع العين من جماله وروعته ، ولا يشبع القلب من تلقي إيحاءاته ، ولا يشبع العقل من تدبر نظامه ودقته . وهنا إشارة إلى نعمة الله على البشر الذي أودع فيهم القدرة على التجاذب مع هذا الكون بمجرد النظر والتأمل . **(( ) Î c ž û Î ’**
Ç Ú ö ‘ F { $ # u r   Ï N º u q » y J ¡ ¡ 9 $ #   È , ù= y z
È @ ø Š © 9 $ #   É # » n = Ï F ÷ z $ # u r
’ Í < 'r T [{   ; M » t ƒ U y   Í ‘ $ p k ¨] 9 $ # u r

$ { F 9 ø6t » = É)) (آل عمران:١٩٠)

وأما فهم الإمام بديع الزمان لهذه الآية والإبداع . انه مهما كان الإنسان جاداً في تحرّيه القصور، فسيرجع خائباً ، مما يدلنا أن النظام والانتظام هما في غاية الكمال. أي أن انتظام الكائنات شاهد قاطع على الوحدانية.

ويقول إن الكون حادث، حيث نشاهد في كل عصر وفي كل سنة بل في كل موسم عالَماً يرحل ويحطُّ آخرُ مكانه، تمضي كائنات، وتأتي أخرى. فالقدير ذو الجلال هو الذي يوجِد هذا العالم من العدم في كل سنة، بل في كل موسم، بل في كل يوم ، فكل موجودات الكون على هذا الغرار، فكل منها يعلن بذاته، بصفاته، عن صانعه بلسانه الخاص، ويشهد على حكمته بسلوكه في طريق معينة ضمن طرق إمكانات لا حد لها . وهكذا يشهد كل شئ على صانعه الحكيم وإرادته واختياره ، لأن الذي يضع شيئاً ما بحكمة تامة في جميع المركبات، ويحافظ على تلك العلاقات فيما بينها لا يمكن أن يكون إلا خالق جميع المخلوقات.(١١)

المطلب الثالث :– طرد المستمعين من الشياطين بشهب السماء

u ä ! $ y J ¡ ¡ 9 $ # $ ¨ Z - ƒ y — ô‰s) s 9 u r))
y x Š Î 6» | Á y J Î / $ u ‹ ÷R ‘ ‰ 9 $ #
$ YBq ã _ â ‘ $ y g » o Yù= y è y _ u r
9 j Ï = ± ¤ ‹ u » Ü Ï ü û È)))(الملك: من الآية٥)

يظهر الله تعالى جمال ما يصنع ويخلق . حينما جعل هذه النجوم المضيئة في السماء زينة لها . وقد تكون هذه النجوم وسيلة طرد وهجوم على المتجسسين من الشياطين . التي تحاول الصعود إلى السماوات . وهذا تصديق لقوله تعالى ` Ï i B Ôâ # u q ä © $ y J ä3ø ‹ n = t ã ã@ y ™ö • ã ƒ)) ((È b # u Ž Å Ç tG ^ s? Ÿ x sù Ó ¨ $ p t éU u r 9 ‘ $ ¯ R (الرحمن:٣٥) . وفي هذه الآية نذير وتهديد عظيم . وبيان عجز وضعف الجن والإنس ، أمام عظمة سلطانه وسعة ربوبيته جل وعلا . ثم يرى الإمام أن الشهب التي تُرسل لرجم الشياطين تحمل ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول:

انه رمز وعلامة على جريان قانون المبارزة في أوسع دائرة من دوائر الوجود.

المعنى الثاني:

إن في السموات حراساً يقظين ومطيعين، فهذه الشهب إشارة وإعلان عن امتعاض جنود الله من اختلاط الأرضيين الشريرين بهم واستراق السمع إليهم.

المعنى الثالث:

إن هذه الشهب وكأنها مجانيق وقذائف لإرهاب جواسيس الشياطين الذين يسترقون السمع والذين يمثلون المساوئ الأرضية أسوأ تمثيل، وطردهم من أبواب السماء وذلك لئلا يلوثوا السماء الطاهرة التي هي سكنى الطاهرين، وليحولوا بينهم وبين القيام بالتجسس لحساب النفوس الخبيثة.(١٢)

وهنا أشير إلى تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من خبث هؤلاء الشياطين وممن يستعينون بهم من أشرار الإنس من أجل التكذيب والدجل على الناس بغير حق . وتصديقهم والذهاب إليهم.

عن عائشة ، رضي الله عنها قالت :(سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس عن الكهان ، فقال : ليس بشيء " فقالوا : يا رسول الله ، إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الكلمة من الحق ، يخطفها من الجني ، فيقرها في أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة). (١٣)

وعن عائشة رضي الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : (إن الملائكة تنزل في العنان : وهو السحاب ، فتذكر الأمر قضي في السماء ، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه ، فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) (١٤)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أتى عرافا فسأله عن شيء ، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) (١٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اقتبس علما من النجوم ، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) (١٦)

ولا بد من الإشارة إلى معنى السماء في مفهوم بديع الزمان . فيقول إن آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر في مقدمة تعريفها لخالق هذا الكون (السماوات) التي هي اسطع صحيفة للتوحيد بحيث ما يتأمل فيها متأمل إلا تغمره الحيرة ويغشاه الإعجاب، فيستمتع بمطالعتها بكل ذوق ولذة ، فكلما يأتي ضيف إلى مملكة هذه الدنيا ويحل في دار ضيافتها، كلما فتح عينيه ونظر رأى مضيفاً في غاية الكرم.. ومعرضاً في غاية الإبداع.. ومتنزهاً جميلاً في غاية الروعة.. وكتاباً مفتوحاً ذا معان في غاية البلاغة والحكمة. تشاهد ربوبية ظاهرة تتجلّى:

في رفعها مئات الألوف من الأجرام السماوية بلا عمد ولا سند، منها ما هو اكبر من أرضنا ألف مرة،

وفي إيقادها تلك القناديل المتدلية التي لا تعد، بلا زيت ولا انطفاء..

وفي إدارتها تلك الكتل الهائلة التي لا حد لها، بلا ضوضاء ولا صخب ولا اختلال.. ويرى تجليها كذلك:

في تسخيرها تلك المخلوقات العظيمة في مهام معينة كاستسلام الشمس والقمر لأداء وظائفهما دون إحجام أو تلكؤ..

وهاله ما يرى من تجلي الربوبية: في إخضاعها تلك السيارات الضخمة التي تملك قوى هائلة ومتجاوزة لحدودها، منقادةً مطيعةً لقانونها أن تتجاوز أو تنحرف.

وفي جعلها وجه السماء صافياً نقياً يتنظف طاهراً مما تلوثه أنقاض تلك الأجرام المزدحمة دون أن يُرى عليه قذى ولا أذى. بل إن عظمة هذه السماوات تتجلى أيضاً في عظمة التسبيح .((ã & s ! ß x Î m6 | ¡ è @
ß ì ö 7 ¡ ¡ 9 $ # ßN º u q » u K ¡ ¡ 9 $ #
b Î) u r 4 £ ` Í k Ž Ïù ` t B u r ÞÚö ‘ F { $ # u r
ß x Î m 7 | ¡ ç „ žw Î) > ä ó Ó x « ` Ï i B
t b q ß g s) ø ÿ s ? žw ` Å 3 » s 9 u r ¾ Í n Ï ‰÷K p t ¿2
t b% x . ¼ ç m ¯ R Î) 3 öN ß g y s ‹ Î 6 ó ¡ n@
Y ‘ q à ÿ x î $ ¸ J Š Î = y m)) (الاسراء:٤٤)

كذلك للسماء نعمة عظيمة منها نعمة (السحاب) الذي علق بين السماء والأرض يسقي روضة الأرض سقياً يتفجر حكمة ورحمة ، ويُمد سكنتها بالماء الباعث للحياة، ملطِّفاً به شدة الحرارة –

أي شدة ضرام العيش . ومع أن ذلك السحاب الثقيل الضخم يقوم بوظائف كثيرة أمثال هذه ، فانه يختفي ويتبدد فوراً بعد أن ملأ أرجاء الجو. فتنسحب جميع أجزائه لتخلد إلى الراحة.

ثم نعمة (الرياح) التي تجول في الجو فيرى أن الهواء يستخدم في وظائف كثيرة، في منتهى الحكمة والكرم استخداماً كأن كل ذرة من ذرات ذلك الهواء الجامد – وهي لا تملك شعوراً – تسمع وتعي ما يلقى إليها من الأوامر الصادرة من سلطان هذا الكون فهي تعمل على نقل المواد الضرورية لذوي الحياة كالحرارة والضوء والكهرباء، أو التوسط لتلقيح النباتات. فهي تستخدم بجميع هذه الخدمات من قبل يد غيبية استخداماً في منتهى الشعور، والعلم، والحيوية. (١٧)

فإنهما نعمة (البرق – الرعد) يستخدمان في أمور بالغة الإعجاب والغرابة فان هذا الهواء الجامد الذي لا حياة له ولا شعور . وهو في اضطراب دائم ، وهيجان لا يسكن ، تأتي إلى الوجود . فتظهر الأعمال والوظائف والنعم والإمدادات العامرة بالحكمة والرحمة والإتقان ،

مما يبين أن هذا التحرك بأمر الحكيم الكريم . ((É # ƒ Î Ž ó Çs?u r
É > $ ys¡ ¡ 9 $ # u r Ëx»tƒ Ì h • 9 $ #
Ïä! $ yJ¡ ¡ 9 $ # tû÷üt / Ì • ¤ , | ¡ ßJø9 $ #
((ÇÚö ‘ F { $ # u r (البقرة: من الآية١٦٤).
((ß x Î m7 | ¡ ç „ u r ß‰ô ã§ • 9 $ #
((¾ Í n Ï ‰ô J p t ¿2 (الرعد: من الآية١٣) . ((ó ß Š%s3 t ƒ
$ uZ y™ ¾ Ï m Ï %ö • t / Ü= y d õ ‹ t ƒ
/ Î $ $ { F / Á ö | « • Ì)) (النور: من الآية٤٣). (١٨)

ويأخذ بنا الإمام إلى بيان السر الذي جعل الله تعالى السماء رجوماً للشياطين .

الأولى : إن للسموات سكانا يناسبونها يسمون بالملائكة، إذ امتلاء الأرض مع حقارتها مقارنةً إلى السماء من ذوي الحياة والإدراك ، يشير بل يصرح بامتلاء السموات ذات البروج – تلك القصور المزينة – من ذوي الإدراك.

وكذا إن تزيين الكائنات بجميع هذه التزيينات والمحاسن والنقوش مستلزمةٌ لوجود أنظار متفكرين مستحسنين بالحيرة والتقدير، وهذه الوظيفة لا تستطيع الجن القيام بها . بل لا تقوم بها إلا ما لا يعد من أنواع الملائكة والروحانيات.

الثانية: إن للأرض علاقة مع السماء ومعاملة معها وارتباطا يجئ منها إليها أشياء، من الضياء والحرارة والبركات وغيرها. ونحن نعلم إن للأرضيين طريقاً يصعدون

فيها إلى السماء ، إذا خَفّوا بوضع إثقالهم وخلع أجسادهم كالأنبياء والأولياء والأرواح.

الثالثة: إن سكونة السماء وسكوتها وانتظامها واطرادها تدل على أن أهلها ليسوا كأهل الأرض التي فيها اضطراب وتذبذب واختلافات وامتحان بمشاجرات، بسبب اختلاط الأشرار بالأخيار واجتماع الأضداد، أما أهل السماء فكلهم مطيعون يفعلون ما يؤمَرون.

الرابعة: إن لمالك يوم الدين ولرب العالمين أسماء متغايرةٌ أحكامها، فالاسم الذي اقتضى إنزال الملائكة للمحاربة في صف الصحابة مع الكفار، يقتضي وقوع المحاربة بين الملائكة والشياطين؛ أي السماويين الأخيار والأرضيين الأشرار. وهذا كله بفعل السلطان سبحانه وتعالى كيف يفعل.

الخامسة: انه لابد أن يقلِّد أشرار الروحانيات أخيارهم في تشبث الذهاب إلى مملكة السماء ، ولابد أن لا يقبلهم أهل السماء ، بل يطردونهم لشراراتهم. ولابد في حكمة سلطنة الربوبية أن يكون لهذه المبارزة المعنوية علامة وإشارة في عالم الشهادة لا شهاد الإنسان.فرمي الشهب المرماة من بروج الحصون الرفيعة.

السادسة : إن القرآن الحكيم المعجز يرشد البشر ويزجره من العصيان باسلوب غال ومثل عال.. فانظر إلى إنذار ((u Ž | ³ ÷ è y J » t ƒ
È b Î) Ä§RM} $ # u r Ç d ` Å g ø : $ #
ô ` Ï B (# r ä ‹ à ÿ Zs? b r & öN ç F ÷ è sÜ t Gó ™ $ #
Ï N º u q » y J ¡ ¡ 9 $ # Í ‘ $ sÜ ø% r &
Ÿw 4 (# r ä ‹ à ÿ R $ $ sù Ç Ú ö ‘ F { $ # u r
š c r ä ‹ à ÿ Zs? (Î w ž 0 Î ¡ Ý = ù Ü s« ` 9)) (الرحمن:٣٣) الآية في تعجيز الثقلين، وإعلان عجزهما في جنب وسعة سلطنة الربوبية، كأنّهُ يقول : أيها الإنسان العاجز! كيف تعصي سلطاناً يطيعه الشموس والأقمار والنجوم والملائكة الذين يرجمون الشياطينَ ! وكيف تتجاسر على العصيان في مملكة سلطانٍ. ألا تخشى أن ترمى بنجوم وأنت في أرضك .

السابعة: إن ما يضئ في وجه السماء فهو نجم، فمن هذا النوع ما يُزَيّن به السماء

كالجواهر ، ومنه ما يُرجم به الشياطين . (١٩)

المطلب الرابع :- تصوير لحال الكفار في نار جهنم وما يرونه من هولها .

$ p k Ž Ï ù (# q à) ø 9 é & ! # sŒ Î)))
$ Z) ‹ Í k y - $ o l m ; (# q ã è Ï ÿ x œ
(الملك:٧) **((â ‘ q à ÿ s? } ‘ É d u r**

تصور هذه الآية حال المتبعين للشيطان . والمنحرفين عن الصراط المستقيم . وعنادهم البغيظ . فكان مصيرهم في هذا المكان السحيق . في جهنم وبئس المصير هذا مشهد عظيم ومخيف يصوره بديع الزمان وهو يقول : لو يكرر سلطان الكون في أوامره تلك الجناية العظمى (الكفر) وعقوبتها بأسلوب في غاية الزجر والشدة ألوف المرات، بل ملايين المرات، بل مليارات المرات لما عد ذلك إسرافاً مطلقاً ولا نقصاً في البلاغة، نظراً لضخامة تلك الجناية العامة وتجاوز الحقوق غير المحدودة، وبناء على حكمة إظهار أهمية حقوق رعيته سبحانه وإبراز القبح غير المتناهي في كفر المنكرين وظلمهم الشنيع. إذ لا يكرر ذلك لضآلة الإنسان وحقارته بل لهول تجاوز الكافر وعظم ظلمه.

فلهذا من حكم القرآن تكراره النذر وبقوة وشدة . ووصفه لعذاب جهنم لهو عين العدالة لأولئك الكفار الذين لا يعيرون للنذر سمعاً.(٢٠)

وهنا لا بد لي من الإشارة إلى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر من هول العذاب واليوم الآخر . فيقول تعالى **((u r . x ‹ x º 9 Ï • š**
x ‹ s{ r & ! # sŒ Î) y 7 Î n / u ‘ ä ‹ ÷ { r &
¨ b Î) 4 î p u H Í > »s ß } ‘ É d u r 3 “ t • à) ø 9 $ #
Ç Ê É Ë È î ‰ ƒ Ï ‰ x © ÒO Š Ï 9 r & ÿ ¼ ç n x ‹ ÷ { r &
ô ` y J Ï j 9 Z p t ƒ U y y 7 Ï 9 º sŒ ’ Î û ¨ b Î)
y 7 Ï 9 º sŒ 4 Í o t • Å z F y $ # z > # x ‹ t ã t $ %s {
â ¨ $ ¨ Y 9 $ # ç m© 9 × í q ß J ø g ¤C × P ö q t ƒ
Ç Ê É Ì È × Š q ß g ô ± ¨B × P ö q t ƒ y 7 Ï 9 º sŒ u r
9 @ y _ L { ž w Î) ÿ ¼ ç n ã • ½ j z x s ç R $ t B u r

Ÿw ÏNù't ƒ tPöqtƒ ÇÊÉÍÈ 7Šrß‰÷è¨B 4 ¾ÏmÏRøŒÎ * Î / žwÎ) ë§øÿtR ãN¯=x6s? ÇÊÉÎÈ Ó‰‹Ïèy™ur @'Å+x© óOßg÷YÏJsù 'Å"sù (#qà)x© tûïÏ%©!$# $¨Br'sù ×Ž•Ïùy— $pkŽÏù öNçlm; Í'$¨Z9$# ÇÊÉÏÈ Î, ‹Îgx©ur)) (هود:١٠٢-١٠٦) قال:تعالى ((

â¨$¨Z9$# $ygƒ•r'¯»tƒ žcÎ) 4 öNà6-/u' (#qà)®?$# íäóÓx« ÏptãŠ$¡¡9$# s's!t“ø9y— $ygtR÷rt•s? tPöqtƒ ÇÊÈ ÒOŠÏàtã !$£Jtã >py貊Êö•ãB '@à2 ã@ydõ‹s? ÏN#sŒ '@à2 ßìŸÒs?ur ôMyè|Êö'r& }¨$¨Z9$# "t•s?ur $ygn=÷Hxq @@ôJym 3"t•»s3Ý¡Î0 Nèd $tBur 3"t•»s3ß™ Ó‰ƒÏ‰x© «!$# šU#x‹tã £`Å3»s9ur)) (الحج:١-٢) ÇËÈ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرتان ، يغلي منهما دماغه)[٢١]

ٹ ڈ چ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ چ (الملك:٨)

يعبر القرآن الكريم بأسلوب معجز عن غضب الكائنات وتغيظ عناصر الكون جميعها وتهيج الموجودات كافة من شر أهل الضلالة ، عندما يصف اشتراك السماء والأرض بالهجوم على قوم (نوح عليه السلام) في الطوفان ٹ ڈ چ چ ڃ چ چ چ ڃ ڃ چ چ ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ چ (الفرقان:٣٧)

وعصف الرياح بقوم (عاد) ٹ ڈ چ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ چ (الذريات:٤١-٤٢) والصيحة على (ثمود) چ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ی ی چ (الذريات:٤٣ - ٤٥) وهيجان الماء على قوم فرعون ٹ ڈ چ ڇ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ چ (الذريات:٣٨ - ٤٠)

ونقمة الأرض على قارون عند رفضه الإيمان ٹ ڈ چ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ چ (القصص:٨١)

حتى أن جهنم ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ (الملك: من الآية٨) وهكذا يبين القرآن الكريم غضب الموجودات وحدتها على أهل الضلالة والعصيان ويزجرهم بهذا الأسلوب الإعجازي الفريد .

فقال رحمه الله : أن الكفر والضلالة تجاوزٌ شنيع وتعدّ رهيب، وجريمة تتعلق بجميع الموجودات. ذلك لأنهم يرفضون الغاية السامية لخلق الكائنات التي نتيجتها العظمى عبودية الإنسان وتوجّهه بالإيمان والطاعة والانقياد للربوبية الإلهية. فإنكارهم هذه النتيجة العظمى للكون . التي هي العلّة الغائية وسبب بقاء الموجودات . نوعٌ من تعدٍ على حقوق جميع المخلوقات.

وحيث إن الموجودات قاطبة تتجلى فيها الأسماء الإلهية الحسنى وكأن كلِّ جزء منها مرآة تعكس تجليات أنوار تلك الأسماء المقدسة ،

فان إنكار الكافر لتلك الأسماء الحسنى ولتلك المنزلة الرفيعة للموجودات وأهميتها هو إهانةٌ عظيمة وتحقير شديد فوق كونه تشويهاً ومسخاً وتحريفاً إزاء تلك الأسماء.

وكذلك فان كل مخلوق في هذا الكون قد أوكل إليه وظيفة . فالكافر بكفره يسلبه تلك الوظيفة المهمة ويجعله جامداً لا معنى له.

ولما كانت الضلالة بأنواعها المختلفة تنكر الحكمة الرّبانية في خلق الكائنات، وترفض المقاصد الإلهية في بقاء العالم، فان الموجودات بدورها تتهيّج، والمخلوقات تثور، والكائنات تغضب على الكفر وأهله. فما على الانسان العاجز!. إن كان راغباً في النجاة من غضبة العالم ونفور المخلوقات وثورة الموجودات فدونك سبيل النجاة الدخول في دائرة القرآن الحكيم واتّباع المبلّغ الأمين صلى الله عليه وسلم في سنّته المطهّرة.[٢٢]

ويبين الأمام بأن الشرك بالله عمل يوصل صاحبه إلى هذه المكانة ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﭼ (الملك: من الآية٨) وذلك لأن الشرك استهانة بالكون وحط من قيمته وتهوين من شأنه ، لإنكاره حكمة الخلق ورده وظائف المخلوقات ، لأن هذا الكون سر التوحيد الذي به ندرك الوظائف الراقية للموجودات ، وتتقرر نتيجة خلق المخلوقات ، وتُعرف

أهمية المصنوعات . وتبرز ما في هذا العالم من مقاصد إلهية ، وحكمة خلق ذوي الحياة وسر وجود ذوي المشاعر ، وبسرِ التوحيد يُفهم: ان الكون برمته كتاب ينطوي على معانٍ عميقة غزيرة، وان الموجودات بأسرها مجموعة مكاتيب سبحانية في منتهى الإعجاز، فالشرك يحول هذا السر إلى أشتات واهية جامدة ، لا روح لها ولا حياة، ولا بقاء لها ولا وظيفة، بل يجعل هذا المصنع العظيم الذي يدر النفع الكثير، شيئاً لا فائدة له ولا يكسب منه شئ.

فيكون الشرك مبعث جرائم كبرى وجنايات عظمى! ألا يستحق عذاباً أبدياً في جهنم مع انه سيئة واحدة ؟ وصدق الله العظيم: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ (لقمان: من الآية١٣).[٢٣]

المطلب الخامس :- بيان أثر الاسم (العليم واللطيف) في الخلائق.

ﭧ ﭨ ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ (الملك:١٤)

بعد أن استعرضنا هول جهنم وغيضها . وغضب المخلوقات وانتقامها من العصاة . وأهل الضلالة والشرك . تمر علينا هذه الآية التي تظهر لطف الله تعالى وعظمة علمه بخلقه وكيف هذا الخلق يكون بتدبير الخلاق القدير العليم بكل شيء . لهذا يصور لنا الإمام هذه الآية وهو يقول : أنها تَدُلُّ عَلى أنَّ الوُجودَ في الشَئ يَسْتَلزِمُ العِلمَ بِهِ. وَنُورَ الوُجودِ في الأشياء يَستَلزِمُ نُورَ العِلمِ فيها.

فَنِسبَةُ دَلالَةِ حُسنِ صَنْعَةِ الإنسان عَلى شُعُورِهِ ، إلى نِسبَةِ دَلالَةِ خِلقَةِ الإنسان عَلى عِلمِ خالِقِهِ ، فهو الخلاق القدير المصور البصير. أن الأجرَامُ العُلويَّةُ والكَواكِبُ الدُّرِّيَّةُ نَيِّراتُ بَراهينِ إلوهيته وَعَظَمَتِهِ، وَشُعاعاتُ شَوَاهِدِ رُبُوبِيَّتِهِ كلها تَشْهَدُ وَتُنادي عَلى سَلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِهِ وُسْعَةِ حُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وعَلى عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ .

ﭧ ﭨ ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ (ق:٦)

ﭧ ﭨ ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ(الغاشية:١٧-٢٠)[٢٤]

وهنا لا بد من إشارات قصيرة إلى (العلم الإلهي) الذي جاء في هذه الآية (ألا

يَعْلَمُ) فكما أن الرحمة تبين نفسها كالشمس بأرزاقها العجيبة وتثبت بدلالة قاطعة أن وراء ستار الغيبچ ٻ ٻ چ كذلك (العلم) الذي اتخذ موقعاً ضمن مئات الآيات القرآنية ، الذي هو أولى الصفات السبع الجليلة . فان حكم النظام والميزان ، يدل على وجود عليم بكل شيء دلالة مطلقة.(٢٥)

ٹ ڈ چ ڃ ڃ ڃ ڃ چ (لأنفال:من الآية٧١)

ٹ ڈ چ چ (لأنفال: من الآية٧٥)

والعليم هو العالم بالسرائر والخفايا التي يدركها علم الخلائق . ولوم الخلائق على سعتها وتنوعها إذا نسبت إلى علم الله اضمحلت وتلاشت . (٢٦)

وأشار إلى معنى الاسم (اللطيف) عندما يخلق الله الخلق ويصور الأشياء بصورة عامة . يضع بعد ذلك جزيئات ذلك المخلوق . فعندما كانت الصورة إنسانا أضفى على أعضائه كالعين والأنف والإذن ألوانا من الحس والجمال .. وان كانت الصورة زهرة أضفى سبحانه وتعالى إلى أوراقها وأعضائها ألوانا من الجمال وان كانت الصورة جنة النعيم أسبغ على قصورها ألوانا من الحس وعلى حورها أنواعا من الزينة .. وهكذا مع باقي المخلوقات . فهذا الطراز من الزينة والنور تحكم عليه معاني اللطف والكرم فتجعل ذلك الموجود المزين وذلك المصنوع المنور لطفا مجسما وكرما متجسدا يذكر باسمي (اللطيف ، الكريم) ثم يجمل سبحانه ذلك الموجود المزين ، وذلك المخلوق الجميل ، بثمرات لذيذة ، بنتائج محبوبة ، فيحول جل وعلا . الزينة إلى نعمة ، واللطف إلى رحمة حتى يدفع مشاهد يقرأ اسمي (المنعم ، الرحيم) (٢٧) وكذلك يتجلى هذا الاسم بأن الله عندما يخلق الخلق يشملهم لطفه فعندما يولد المولود إلى الدنيا فانه يرسل رزقه عقبه مباشرة في منتهى اللطف ، وكيف لا چ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ چ (الذريات:٥٨)

ٹ ڈ چ ں ڻ ڻ ڻ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ چ (العنكبوت:٦٠)(٢٨)

المطلب السادس :- تسخير الأرض وتذللها للعباد.

ٹ ڈ چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ چ (الملك: من الآية١٥)

يبين الله تعالى في هذه الآية إلى إثارة همة الإنسان ، وبعث اهتماماته ، لاكتشاف وسيلة يستطيع بها إحضار الصور والأصوات من أبعد الأماكن وأقصاها ضمن أدق الصناعات البشرية . وهذا يوافق تصور الإمام عندما قال : إن الأرض سفينة آمنة سالمة تبحر في بحر الكون الواسع بانتظام دقيق دائرة حول الشمس لأجل حكم كثيرة ومنافع شتى، مشحونة بذوى الحياة وما يلزمها من أرزاق، وهي تجلب محاصيل المواسم للمحتاجين إلى الرزق، لتستجم مخلوقات الخالق الجليل وضيوفه في فضاء هذا الكون الواسع.

وبعدما أدرك السائح هذا المعنى من مشاهدته الأرض ردّد من أعماق روحه ووجدانه : الحمد لله رب العالمين. وكذلك يرى الإمام أن الحاكم من أجل أن يحقق العدل في رعيته . أن يكون أكثر سعياً في هذه الأرض والوصول إلى كل ما يتملكه . من الأرض التي هو يحكمها . لأنه بهذا يعرف حال الرعية ومبتغياتهم ومعرفة أحوالهم .[٢٩] ويقول : إن القرآن الكريم عندما يذكر الأشياء الكونية . يذكرها للاستدلال على صفات الخالق ووجوده

ﭧ ﭨ ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ(الروم: من الآية٢٢)،

ﭧ ﭨ ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ(آل عمران:١٩٠)

فهنا يشير الى أن تحريك الأرض لنفسها وتدويرها حول الشمس . واهتزازها بالزلزلة . وخستها بالطواغيت كما في حال قارون ﭧ ﭨ ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ (القصص:٨١)

وجعل الجبال . لها أوتادا ﭽ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ (النبأ:٧)

وخزنها للماء وأنبتها لتكون فيها الثمار. وتنعم الإنسان بجمالها وزينتها . كل هذه النعم تحملها الغاية من خلق هذه الأرض . فهي نعمة يتنعم بها الصالح والطالح . ولكنها أيضاً نقمة وعقوبة لمن طغى وتجبر على الله وعباده . عندما تتزلزل تحت أقدام هؤلاء . وهكذا نرى اليوم في حياتنا غضب هذه المخلوقات على الفرد والأفراد عندما يحرك الله هذه المخلوقات جنودا . ضد الطاغين وما هذه الزلازل والخسف إلا دليل على ذلك . ﭧ ﭨ ﭽ

ى چ (هود: الآية٤٤)

ٹ ڈ چ ۋ ۋ ۆ ې ې ۑ ۑ

چ (فصلت: من الآية١١) [٣٠]

الخاتمة

بعد التوفيق من الله تعالى :- توصلت إلى النتائج الآتية:

اولاً: عرف الإمام أنه من أسرة متسلسلة في العلم والتعليم. وبيان مدى التضحية والتحمل لأذى المعاندين والمعارضين لهذا الدين والدعوة إليه ، ورغم كل هذا بقى صابراً محتسباً إلى الله وهو يكتب ويؤلف وكان منها هذه الرسائل النورانية

ثانياً: عرف بمنهجه الجديد الذي قل من يتمثل به في تفسير القرآن الكريم في عصرنا الحاضر.

ثالثاً: تحدث عن معنى الموت والحياة ، فرأى الموت تسريح وإنهاء لوظيفة الحياة الدنيا، وهو تبديل مكان وتحويل وجود ودعوة إلى الحياة الباقية الخالدة، ومقدمة لها، وأما الحياة تحصل من إمتزاج صفات كثيرة، كما أنها تتضمن الرزق والرحمة والعناية والحكمة. وميز أيضاً بين الأموات فهو ينظر إلى الشهداء بأن لهم طبقة حياة أعلى وأسمى من حياة الأموات في القبور، وأظهر للموت نعماً يتنعم بها من مات على الحق والصراط المستقيم.

رابعاً: بين مدى التحدي للمخلوقات في أن يجدوا ثغرة في خلق الله كما في خلق السماوات، ويرى تكرار هذا التحدي لا يولد نقصاً في القرآن الكريم، بل هو يثير الاهتمام والجد في النظر إلى خلق الله كله، وإلى جمال ما يصنع ويخلق، حينما أوجد هذه النجوم المضيئة في السماء، بل أنها وسيلة لطرد المتمردين من أشرار الجن، وبين أسباب هذا الطرد بعدة نقاط، أوضح فيها إن عالم السماء وما فيه من الملائكة لا يستحق مثل هؤلاء أن يعيشوا فيها ولما فيها أيضاً من نعم كنعمة الأمطار ،والسحاب، والرياح،والرعد والبرق. وبيان حال الكفار والعصاة وهم في نار جهنم، فلهذا كرر الإنذار لهؤلاء بآيات كثيرة. بل أنه أوجد هذه المخلوقات في أصلها

النعمة والفائدة للعباد. ولكن بعد التجبر والعصيان تتحول إلى نقمة وعذاب. كما أرسل الرياح إلى قوم عاد والطوفان إلى قوم نوح وخسف الأرض بقارون وإغراق فرعون وجنوده في اليم.

خامساً: أوضح أثر الاسم العليم واللطيف على الخلق، فالعليم هو العالم بالسرائر والخفايا التي يدركها علم الخلائق، على سعتها وتنوعها التي إذا أنسبت إلى علم الله اضمحلت وتلاشت، واللطيف هو عندما يخلق الله الخلق ويصور الأشياء بصورة عامة ، يضع بد ذلك جزيئات ذلك المخلوق، فعندما كانت الصورة إنساناً أضفى على أعضائه ألواناً من الحسن والجمال، فعندما يولد المولود إلى الدنيا يرسل رزقه عقبه مباشرة في منتهى اللطف. ووصف الأرض أنها سفينة آمنة سالمة تبحر في بحر الكون الواسع بانتظام دقيق دائرة حول الشمس لأجل حكم كثيرة ومنافع شتى.وعندما يذكر القرآن الأشياء الكونية يذكرها للاستدلال على صفات الخالق ووجوده .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين.

الهوامش

١- المعجم الأوسط : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين . القاهرة ، ١٤١٥ تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد محسن بن إبراهيم الحسيني ، باب السين ٤/٧٦ رقم الحديث ٣٦٥٤ .

٢- جامع الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩ هـ تحقيق د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٦م . رقم الحديث ٢٨٩٠ ، حسن غريب

٣- ينظر: إعجاز القرآن اللغوي في فكر النورسي ، الدكتور عبد الرزاق السعدي ، دار الأنبار للطباعة والنشر ١٩٩٨م ص[٧،٨،٩] .

٤- ينظر: النورسي الرائد الإسلامي الكبير ، تأليف الدكتور محسن عبد الحميد ، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة ، سنة ١٩٨٧م : ص[٣١،٣٢]

٥- ينظر: رسائل النور ، الكلمات ، الإمام النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ،

شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٢م : ٨١٤،٨١٢/١ .

٦- صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري الينسابوري ، (٢٦١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط٤ ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م . طبعة كاملة مجلد واحد ، كتاب الزهد والرقائق : ص١١٣٣ ، رقم : ٢٩٥٦ .

٧- ينظر: رسائل النور ، المكتوبات ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٢م : ٢/ ٦ ، ٨ ، ٩ .

٨- ينظر: كليات رسائل النور ، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر١٩٩٤م : ٢١٧/٥

٩- ينظر: كليات رسائل النور ، اللمعات ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٣م ، ٥٥١/٣ .

١٠ - ينظر: كليات رسائل النور صيقل الإسلام ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الرابعة ، ٢٠٠٤م ، ١٢٤/٨ .

١١ – ينظر: رسائل النور ، الكلمات : ١/ ٨٢٧،٨٢٥

١٢ – ينظر: المصدر السابق : ٢٠٩/١

١٣ – صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، (٢٥٦) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م ، طبعة كاملة مجلد واحد ، كتاب الطب ، باب الكهانة ، ص١٠٤٧ : رقم : ٥٧٦٢ .

١٤ – ينظر المصدر نفسه ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة : ص ٥٧٤ : رقم : ٣٢١٠ .

١٥ – صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان : ص٨٨ ، رقم : ٢٢٣٠ .

١٦ – المصنف في الأحاديث والآثار : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ، ١٤٠٩م ، تحقيق : كمال يوسف الحوت . كتاب الأدب في تعليم النجوم : ٥ / ٢٣٩ ، رقم : ٢٥٦٤٦ .

١٧ – ينظر: كليات رسائل النور ، الشعاعات ، ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم

الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٣م : ٤/ ١٤٣ . ١٤٤ .

١٨ – ينظر: المصدر السابق : ٤/ ١٤٦ . ١٤٨ .

١٩ – ينظر: كليات رسائل النور ، المثنوي العربي النوري ، سعيد النورسي ، ترجمة وتحقيق إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثالثة ٢٠٠٣م مصر ، ٦ / ٣٣٥ . ٣٣٦

٢٠ – ينظر: كليات رسائل النور ، الكلمات : ١ / ٥٣٤ . ٥٣٥ .

٢١ – صحيح مسلم . كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذاباً : ص[١٠٢] ، رقم : ٢١٣.

٢٢ – ينظر: كليات رسائل النور ، اللمعات : ٣ / ١٢٧ . ١٢٨ .

٢٣ – ينظر: كليات رسائل النور ، الشعاعات : ٤ / ١٥ . ١٦ .

٢٤ – ينظر: كليات رسائل النور ، اللمعات : ٣ / ٤٨٠ . ٤٨١ .

٢٥ – ينظر: كليات رسائل النور ، الشعاعات : ٤ / ٦٧٦ .

٢٦ – أسماء الله الحسنى ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق محمد أحمد عيسى ، دار الغد الجديد ، ط الأولى : ٢٠٠٥م مصر : ص[٣٣٦]

٢٧ – ينظر: كليات رسائل النور ، الكلمات : ١ / ٧٥١ . ٤٥٢ .

٢٨ – ينظر: كليات رسائل النور ، المكتوبات : ٢ / ٣٣٦ .

٢٩ – ينظر: كليات رسائل النور ، الشعاعات : ٤ / ٦٧٢ .

٣٠ – ينظر: كليات رسائل النور ، المثنوي العربي النوري : ٦ / ٣٢٢ .

المصادر

١–المعجم الأوسط : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، دار الحرمين . القاهرة ، ١٤١٥ تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد محسن بن إبراهيم الحسيني.

٢–جامع الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩ هـ تحقيق د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، ١٩٩٦م . رقم الحديث ٢٨٩٠ ، حسن غريب

٣-إعجاز القرآن اللغوي في فكر النورسي ، الدكتور عبد الرزاق السعدي ، دار الأنبار للطباعة والنشر ١٩٩٨م.

٤-النورسي الرائد الإسلامي الكبير ، تأليف الدكتور محسن عبد الحميد ، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة ، سنة ١٩٨٧م.

٥-رسائل النور ، الكلمات ، الإمام النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٢م .

٦-صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري الينسابوري ، (٢٦١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط٤ ، ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م . طبعة كاملة مجلد واحد.

٧- رسائل النور ، المكتوبات ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٢م.

٨-إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٤م.

٩-كليات رسائل النور ، اللمعات ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٣م.

١٠ - كليات رسائل النور صيقل الإسلام ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الرابعة ، ٢٠٠٤م.

١١ - صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، (٢٥٦) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م ، طبعة كاملة مجلد واحد.

١٢ - المصنف في الأحاديث والآثار : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، مكتبة الرشد الرياض ، ط الأولى ، ١٤٠٩م.

١٣ – كليات رسائل النور ، الشعاعات ، ، سعيد النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي

، شركة سوزلر للنشر ، ط الثانية مصر ١٩٩٣م.

١٤ – كليات رسائل النور ، المثنوي العربي النوري ، سعيد النورسي ، ترجمة وتحقيق إحسان قاسم

الصالحي ، شركة سوزلر للنشر ، ط الثالثة ٢٠٠٣م مصر.

١٥ – أسماء الله الحسنى ، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق محمد أحمد

عيسى ، دار الغد الجديد ، ط الأولى ، ٢٠٠٥م مصر .